

في الوقت الذي كان الكيان الصهيوني يتهيأ فيه للعدوان على إيران، تحت ذريعة "الرد"، مع أن "البادئ أظلم"، كانت معظم التوقعات تصب في احتمال تصعيد خطير بالمنطقة قد يجر العالم كله، وليس المنطقة وحدها، إلى حرب شاملة، كانت الإدارة الأمريكية تنفخ الحار والبارد، تصب الزيت على النار، محاولة منها لإطفاء اللهب الذي قد يمتد إليها.

في هذا الوقت أيضا، كان الكيان يتمادى في التقتيل والتشريد والإبادة في غزة ولاسيما في شمالها الصامد، وفي جنوب لبنان والضاحية الجنوبية لبيروت، بلا رقيب ولا حسيب من طرف الممول و"الراعي الرسمي السامي"، ويرمي بعرض الحائط كل المبادرات، بما فيها مبادرة تطبيق القرار الأممي 1701 التي بادر بها الحليف الفرنسي: غطرسة، ما بعدها صلف، وعنجهية وإجرام بلا حدود ولا قياس.

وما إن حدث الاعتداء المنسق بين الكيان والولايات المتحدة، وبعلم هذه الأخيرة بكل التفاصيل العملية، وبمشاركة نشطة في الهجوم، بأن وقّرت للكيان السلاح والممر الجوي فوق المناطق التي تحتلها في سوريا والعراق، وتمويل بالوقود ودعم لوجستي بالطائرات في حالة حدوث حدث ما لطائرات العدو وطياريه، حتى كان التأييد الأمريكي جاهزا، على أساس الموافقة على دعم الرد، لكن مع استثناء استهداف المنشآت النووية والنفطية والبنية التحتية والسيادية.

الحسابات، كانت سياسية واقتصادية: الانتخابات الرئاسية على الأبواب والنوافذ، وضربة ضد المنشآت النووية، قد تلوّث أجواء "العالم المتحضر" والنفط قد يلهب أسعار الوقود وباقي السلسلة، وتحترق المرشحة كمالا هاريس في أتون الانتخابات الكارثية: سيناريو ما كانت لتقبله إدارة الديمقراطيين المتأرجحة، لحسابات سياسية داخلية.

بالمقابل، كان همّ كبير الكهان في الكيان، ينصبّ على جر الإدارة الأمريكية إلى هذا العدوان، مشاركة فاعلة عضوية، ليس دفاعا فقط، بل هجوما، لأنه يعرف ويعلم أنه من دون الولايات المتحدة، لا يقدر على رفع أصبع واحدة، حتى في "أصبع الجليل".

وانتهت الضربة بلا مضروب، وسخر الإيرانيون من هذا الرد، ومعهم كثير من رؤوس المعارضة داخل الكيان، الذي كانوا يتمنون ضربة أقوى للمنشآت النووية وإنهاء الأمر بضربة واحدة، مستغلين هذه الفرصة المواتية التي لطلما كان يبحث عنها قائد العصاة، لكن لا الضربة كانت موجعة ولا الردع استعبد، وبقيت إيران تحتفظ بحق الرد في الوقت المناسب، كورقة ضغط مستقبلية في ملفي غزة ولبنان، تجدها جاهزة، بلا ضرورة للبحث عن مبرر دولي قانوني في حالة قررت الانتقام للمرة الثالثة.

في هذه الأثناء، وبعد أن كانت كل السقوف عالية قبل رد الكيان "القاتل" حسب تعبيرهم، وبنك الأهداف الشامل، "تمخض الجبل فولد فأرا"، وها هو الكيان، يعاني الأمرين في لبنان وغزة وفي الداخل المحتل؛ فتعداد القتلى والجرحى والمهجرين في تزايد.

وبعد ما كان يراد للعملية أن تتوقف عند حدود نهري "الليطاني" و"الأولي" وتدمير قدرات حزب الله وتطبيق القرار 1701 بشروط إضافية مع المبعوث الأمريكي "الدائم" هوكشتاين، ها هو هذا الأخير يعود، بعد مغادرة لا أمل له في العودة من جديد قبل الانتخابات: يعود حاملا مقترحا قد يكون من أجل دفع الكيان ولبنان إلى قبول تسوية ما، ربما بدون شروط إضافية والاكتفاء بتطبيق القرار من الجانبين من دون زيادة ولا مزايادة، ثم ها هي المقترحات تتقاطر في مصر وفي قطر، والعودة للحديث عن هدنة وصفقة مصعّرة في انتظار صفقة أكبر.

ويعود السجال ربما لحفظ ماء الوجه "النتن"، وغسل يد الأمريكي الدامية عشية الانتخابات طمعا في ترميم الصورة وهي رميم، واستمالة انتخابية لعرب ومسلمي وملونني أمريكا، الراضين لما يحدث في المنطقة باسم الديمقراطية مع الديمقراطيين.